خواطر
الكلمة الطيبة



الموحد لا ينقطع رجاؤه في ربه

د. خالد سلطان السلطان

الموحد لا ينقطع رجاؤه من الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن الموحد الحقيقي هو الذي يحسن الظن بربه، ويحقق معاني التوحيد في قلبه؛ فإن كان في مقام توحيد الربوبية، فإن الله هو الخالق والرازق والمحيي والمميت؛ فأنت تفرد الله بأفعاله، وإن كان في توحيد الألوهية، فإنك تعبد إلها واحدا لا شريك له، ولا يستحق أحد أن يُعبد مع الله -جل وعلا-، والله أغنى الشركاء عن الشرك، وإن كان الموحد يوحد الله في أسمائه وصفاته، فقد عرف أسماء ربه وصفاته فعظم أمر الله في قلبه.

والذي يولد هذا الشعور، أن العبد لا ينقطع رجاؤه في الله -عزوجل- يعني يرجو الله -عز وجل- إلى آخر رمق وآخر نقطة ممكن للإنسان أن يصل إليها، ولا يدخل في قلبه اليأس ولا القنوط من رحمة الله -عزوجل-؛ فإن اليأس والقنوط من حال الكافرين؛ لأن من ينقطع رجاؤه، وييأس من رحمة الله هم القوم الكافرون، وأما أهل الإيمان فلا يأس ولا قنوط.

قصص يعتبر منها الإنسان

وهناك حالات في القرآن ذكرها الله قصصا ليعتبر منها الإنسان، ويرى قدرة الله -عزوجل-، وانظر إلى أثر التوحيد في ذلك، إبراهيم -عليه السلام- رجل ليس به أي عيب خلقي ويستطيع أن يرزق بأولاد بعد الله -عز وجل- ولكن زوجه عقيم، فسارة عندما كبرت في السن ورزق إبراهيم بإسماعيل من زوجة أخرى وهي هاجر، وتركهم في وادي غير ذي زرع ورجع إلى زوجته سارة بُشر بإسحاق من زوجته العقيم ومن وراء إسحاق يعقوب؛ فقالت زوجته متعجبه: أألد وأنا عجوز عقيم وهذا بعلي شيخا؟! فقالت لها الملائكة: أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

وقد يكون الأمر عكس ذلك، فتكون المرأة صالحة ليس بها عيب، وإنما الرجل هو الذي يكون عقيما، فالمرأة صالحة لأن تكون مزرعة ينتج من ورائها بإذن الله، ومع ذلك الإنسان لا يقطع رجاءه في الله -تعالى- أن يكون له ذرية.

زكريا -عليه السلام

ولكن من أعجب الحالات حالة زكريا -عليه السلام-، هو عقيم وامرأته عجوز كبير ومع ذلك ما قطع رجاءه في الله -عزوجل-؛ فقال في القرآن: ﴿وَرَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ يعني أرض قاحله لا تصلح للزرع، ومع ذلك دعا ربه ولم ييأس ولم يقنط من رحمته؛ فقال الله -تعالى له-: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾.

لا تقطع رجاءك في الله

فلا ينقطع رجاؤك يا مؤمن في الله -عزوجل-؛ فمهما كان الأمر بعيدا، فهو عند الله قريب، ومهما كان صعبا، فهو عند الله يسير، ومهما كان احتمالية عدم وجوده، فالله -عز وجل- إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

قصة واقعية

وهذه قصة حدثت معي في حج ١٤٤٣؛ حيث كان هناك رجل عقيم ليس لديه أي فرصة تمامًا للإنجاب، ومرت عليه سنوات طويلة قرابة ١٦ سنة، وزوجته صالحة للإنجاب يقول: في عرفة هذا العام استشعرت أن الله يدنو من الخلائق لحديث النبي -ﷺ-: «يَهْبطُ اللَّه إلى السَّماءِ الدُّنيا عَشيَّةَ عَرفةَ ثم يباهي بكُمُ الملائكَةَ، فيقولُ: هؤلاءِ عِبادي جاؤوني شُعثًا من كلِّ فَجٍّ عميق، يَرجونَ رَحمتي ومَغفرَتي، فلَو كانَت ذنوبُهُم كعَدد الرَّملِ لغَفرتُها، أفيضوا عبادي مغفورًا لَكُم

● الرجاء هو الطمع في فضل الله ورحمته والاستبشار بِجُود الرب تبارك وتعالى وفضله والثقة والانشراح لمطالَعَة كرمه سبحانه

لمن شفعتُم فيه»، يقول: وتعرفت على إخوة صالحين وطلبت منهم أن يدعوا الله لي وأن يرزقني الذرية، وزوجتي فعلت كذلك.

وبعد رجوعه بشهرين فإذا امرأته حامل، فقد ذهب للفحص فإذا بالنتائج تخرج أنه ليس به أي عيب، فقال له الطبيب: ما العلاج الذي أخذته؟ فقال: والله وجدت علاجا غريبا، فقال له: وما هو؟ فقال: يوم عرفة وقفت في صعيد عرفة وأنا بإحرامي ودعوت الله بيقين، وأشركت إخواني معي



الصالحين، وزوجتي فعلت مثل ذلك فحقق الله -عزوجل- لي ما طلبت، ورزقت بولد والحمد لله رب العالمين.

رجاؤك في الله كبير

فدائما اجعل رجاءك في الله كبير، وهذا لا يتحقق إلا كنت من أهل التوحيد الخالص؛ لذلك حقّق التوحيد في قلبك وتعلم وتدبر

● مِنْ أعظم الاغترارِ التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقُّع القُرْب من الله تعالى بغير طاعة

أسماء الله -تعالى- وصفات الربوبية والألوهية فإن ذلك مما يحقق اليقين في قلبك، وطالع دائمًا كتب التوحيد وراجعها باستمرار، ويوجد منها مختصرات لمقام التوحيد ومعرفته، ومن ذلك كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتب الشيخ ابن تيميه -رحمهم الله- ففيها بركه ومن فهمها فهما سليما، حقق الله مراد التوحيد في قلبه، فأسال الله أن يتقبل رجاءنا ودعاءنا وألا يخيب رجاؤنا فيه.

حقيقة الرجاء

الرجاء: هو الطمع في فضل الله ورحمته، والاستبشار بِجُود الرب -تبارك وتعالى- وفضله، والثقة والانشراح لمطالَعَة كرمه -سبحانه-، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(البقرة: ٢١٨)، وقد سُئِلَ أحمدُ بنُ عاصم -رحمه الله-: ما علامة الرجاء في العبد؟ فقال: «أن يكون إذا أحاط به الإحسان، أُلْهِمَ الشكرَ راجيًا لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا والآخرة، وتمام عفوه عنه في الآخرة»، وقيل: «علامة صحة الرجاء حسن الطاعة».

وأنواع الرجاء ثلاثة، نوعان محمودان، ونوعٌ غرور مذموم، فالأولان: رجاءُ رجلٍ عَملَ بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، ورجل أَذْنَبَ ذنوبًا ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه، وإحسانه، وجوده، وحِلْمه، وكرمه، فهذان النوعان محمودان، والثالث: رجاء رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور، والتمني، والرجاء الكاذب.

وقد أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل، وأمَّا ترك العمل، والتمادي في الذنوب، اعتمادًا على رحمة الله، وحسن الظن به -عز وجل- فليس من الرجاء في شيء، بل هو جهل، وسَفَه، وغرور، فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المفرطين، المعاندين، المُصِرِّينَ.

ومن هنا ندرك الفرق بين الرجاء وبين التمني والغرور؛ إذ التمني يكون مع الكسل وترك العمل ولا يسلك صاحبه طريق الجِدّ والاجتهاد، وأما ا لرجاء فيكون مع العمل والطاعة، وبذل الجهد وحسن التوكل، قال -تعالى-: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(الكهف: ١١٠).

وأما الغرور فهو تمنٍّ مع انخرام أسبابه والعمل بالضد، قال يحيى بن معاذ: «مِنْ أعظم الاغترارِ عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غيرِ ندامة، وتوقُّع القُرْب من الله -تعالى- بغير طاعة»، ويصدق على ذلك قول الشاعر:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ